لمّا صاح الدّيك

حِكايَة من التّراث الشعبي

صياغة: أحمد طي
رسوم: ميرا المير

أخْبَرَتْني جَدَّتي أنّ الدّيكَ لَمْ يَكُنْ تَصيحُ قَديماً، إنَّما مَتى بَدَأَتْ بالصِّياحِ، فتُتابِعُ جَدَّتي:
يُحْكى أنَ ديكاً تَرَكَ المَزْرَعَةَ حَيْثُ كانَ يُقيمُ مع أصْدِقائِه الحَيَواناتِ ومَضى في السُّهول.
وبَيْنَما هو في الطَّريقِ، إذْ بِه يَجِدُ حَبَّةَ قَمْحٍ مُمْتَلِئَةً.

حمَلَها وتابَعَ سَيْرَهُ إلى أنْ الْتَقى بِسَيِّدَةٍ تَطْحَنُ القَمْحَ بواسِطَةِ حَجَرِ الرَّحى، اقْتَرَبَ منها وألْقى عليها السَّلامَ ثم قالَ لها: إني أُعْطيكِ حَبَّةَ القَمْحِ هذه فأنا لَسْتُ مُحْتاجاً لَها، أخَذَتِ السَّيِّدَةُ حَبَّةَ القَمْحِ وطَحَنَتْها مع الأُخْرياتِ بَيْنَما اخْتَبَأَ الدّيكُ خَلْفَ جِذْعِ شَجَرَةٍ وعندما رآها تَنْتَهي من طَحْنِ حُبوبِ القَمْحِ، إنْبَرى أمامَها طالِباً مِنْها حَبَّةَ القَمْحِ خاصَّتَه مُدَّعِياً أنَّه أعْطاها إيّاها كأمانَةٍ ولما اسْتَغْرَبَتِ السَّيِّدَةُ ذلك قائِلةً إنه أعْطاها الحَبَّةَ كَهَدِيَّةٍ،
ضَرَبَ بِقَدَمَيْهِ الأرْضَ ورَفَعَ هامَتَهُ وقالَ:

- أنا الدّيكُ الهادِرْ
- طلعت على البَيادِرْ
- فتَّشْتُ وفتَّشْتُ
- فلقيتُ حَبّةَ قَمْح
- حَبَّةُ القَمْحِ بحَفنةِ طَحينْ

فأعْطَتْهُ السَّيدَةُ حَفْنَةً من الطَّحينِ وأخَذَها وتابَعَ سَيْرَه لِيَلْتَقِيَ بسَيِّدَةٍ أُخْرى تَخْبُزُ على الصّاجِ فأعْطاها حَفْنَةَ الطَّحينِ واخْتَبَأ وراءَ صَخْرَةٍ، ولمّا رَآها انْتَهَتْ من عَجْنِ العَجينِ وخَبْزِهِ أتى طالِبًا حَفْنَةَ الطَّحينِ فقالَتْ له إنّها أهْداها إيّاها، لكنَّه عادَ وضَرَبَ بقَدَمَيْه الأرْضَ وهو يَقولُ:

- أنا الدّيكُ الهادِرْ - فلقيتُ حَبَّةَ قَمْحِ
- طَلَعْتُ على البَيادِرْ - حَبّةُ القَمْحِ بحَفْنَةِ طَحينِ
- فتَّشْتُ وفتَّشْتُ - حَفْنَةُ الطحينِ برَغيفِ خُبْزٍ

وأعْطَتْه رَغيفاً من خُبْزِ الصّاجِ الشَّهِيّ فحَمَلَهُ ومَشى إلى أنِ الْتَقى بمُزارِعٍ يَحْصُدُ البَصَلَ فأعْطاهُ الرَّغيفَ مُدَّعِياً أنّه شَبْعانُ ولا يُريدُهُ، ولَمّا رأى الديكُ المُزارِعَ قد أكَلَ رَغيفَ الخُبْزِ، أتى إليْه طالِباً الرَّغيفَ وهو يُرَدِّدُ:

- أنا الدّيكُ الهادرْ
- طَلَعْتُ على البَيادِرْ
- فتَّشْتُ وفتَّشْتُ
- فلقيتُ حَبَّةَ قَمْحٍ
- حَبَّةُ القَمْحِ بحَفْنَةِ طَحينٍ
- حَفْنَةُ الطحينِ برَغيفِ خُبْزٍ
- رَغيفُ الخُبْزِ برَزْمَةِ بَصَلٍ

وأخَذَ رَزْمَةَ البَصَلِ ومَضى في البلدَةِ ليَصِلَ إلى نَحّالٍ يَقْطُفُ العَسَلَ من القُفْرانِ فأعْطاهُ رَزْمَةَ البَصَلِ واخْتَبَأ خَلْفَ شَجيْرَةٍ إلى أنْ رَأى النَّحّالَ يَنْتَهي من أكْلِ البَصَلاتِ فانْبَرى أمامَهُ يَطْلُبُ البَصَلَ ضارِباً بِقَدَمَيْهِ الأرْضَ رافعاً هامَتَهُ وهو يَقولُ:

- أنا الدّيكُ الهادرْ
- طَلَعْتُ على البَيادِرْ
- فتَّشْتُ وفتَّشْتُ
- فلقيتُ حَبَّةَ قَمْحْ
- حَبَّةُ القَمْحِ بحَفْنَةِ طَحينٍ
- حَفْنَةُ الطحينِ برَغيفِ خُبْزٍ
- رَغيفُ الخُبْزِ برَزْمَةِ بَصَلٍ
- رَزْمَةُ البصَلِ بجَرَّةِ عَسَلٍ

وأخَذَ جَرَّةَ العَسَلِ وتابَعَ طَريقَهُ ليَصِلَ إلى راعٍ يَرْعى جَواميسَهُ في أحَدِ الحُقولِ فقالَ لَه: إنّي أهديكَ جَرَّةَ العَسَلِ هذه فلا حاجَةَ لي بها، وأخَذَها الراعي بسرورٍ كَبير؛ ولكنه ما أن انْتَهى من أكْلِها حتى انْتَصَبَ أمامَهُ الدّيكُ قائِلاً:

- أنا الدّيكُ الهادرْ
- طلَعْتُ على البَيادِرْ
- فتَّشْتُ وفتَّشْتُ
- فلقيتُ حَبّةَ قَمْح
- حَبَّةُ القَمْحِ بحَفْنَةِ طَحين

- حَفْنَةُ الطحينِ برَغيفِ خُبْزٍ
- رَغيفُ الخُبْزِ برَزْمَةِ بَصَلٍ
- رَزْمَةُ البصَلِ بجَرَّةِ عَسَل
- جَرَّةُ العَسَلِ بجاموسَة

وجرّاالجاموسةَخَلْفَهاليَصِلَإلىجَمْهَرَةٍمنالنّاسعَرَفَأنَّهميتحضَّرون
لِعرْسٍلكِنَّهميَحْتاجونَإلىمايُطْعِمونَيَهالْمَدْعُوّينَفأعْطاهُمُالجاموسَةَ
وقَبِلوابِهابِبَهْجَةٍوسُرورٍوماأنِانْتَهىالجَميعُمنتَناوُلِالطَّعامحتّى
أتىالدّيكُمُطالِباًبجاموسَتِهِ،فقالَلهوالِدُالعروسِإنّذلكمُسْتَحيلٌ
كَوْنُالجاموسَةِقدأُكِلَتْ.فانْتَصَبَالدّيكُرافِعاًهامَتَهُضارِباً
بِقَدَمَيْهِ الأرْضَ وهو يَقول:

- أنا الدّيكُ الهادرْ
- طَلَعْتُ على البيادِرْ
- فتَّشْتُ وفتَّشْتُ
- فلقيتُ حَبَّةَ قَمْح
- حَبَّةُ القَمْحِ بحَفْنَةِ طَحينٍ
- حَفْنَةُ الطحينِ برَغيفِ خُبْزٍ
- رَغيفُ الخُبْزِ برزْمَةِ بَصَلٍ
- رَزْمَةُ البصَلِ بجرّةِ عَسَلٍ
- جَرَّةُ العَسَلِ بجاموسَةٍ
- والجاموسَةُ بتاجِ العَروسَةِ

فأعْطوهُ تاجَ العَروسَةِ وأخَذَهُ الدّيكُ وتابعَ رِحْلَتَه حتى وصَلَ إلى شَجَرةٍ صَفْصافٍ يَجْلِسُ عِنْدَ جِذْعِها شابٌّ وَسيمٌ يَنْفُخُ في نايِهِ أجْمَلَ الألْحانِ وأعْذَبَها. افْتَتَنَ الدّيكُ بالنّايِ وعَرَضَ عليه أن يُقايِضَهُ إيّاه. وافَقَ الشّابُّ بِغِبْطَةٍ كَبيرَةٍ وأخَذَ تاجَ العَروسَةِ ومَضى، أما الدّيكُ فقد أخَذَ النّايَ محاوِلاً أن يَنْفُخَ بها شَيْئاً من الموسيقى، لكنه لم يَقْدِرْ.

وبَيْنَما هو يَمْشي تَعَثَّرَ بِحَجَرٍ وبَلَعَ النَّايَ حاوَلَ أَنْ يُخْرِجَهُ بواسِطَةِ السُّعالِ فلم يَقْدِرْ، ولكنْ، وفي كُلِّ مَرَّةٍ كانَ يَسْعُلُ بها كانَ يُصْدِرُ صَوْتاً جَميلاً يَمْتَزِجُ فيه السُّعالُ مع صَوْتِ النّايِ.

وخَتَمَتْ جَدَّتي الحِكايَةَ وهي تُخْبِرُني أَنَّ كُلَّ الدّيوكِ التي أَتَتْ مِنْ بَعْدِ الدّيكِ الهادِرِ أَصْبَحَتْ تَصيحُ مِثْلَه كُلَّ صَباحٍ.